الله نور السموات والأرض

مقاييس علم النفس

١ ــ السعـــادة والانسانية .

للأستاذ حسنى طه شكيبان

الفصل الرابع

فى هذا الفصل نعرض ــ بتوفيق الله تعالى ــ لبعض مقاييس علم النفس فيما يتعلق بالعواطف والسلوك ، ونظرته للسعادة ومجالاتها ؛ لنضعها ــ كما وعدنا بتوفيق الله ــ أمام شخصيات الحكماء والأنبياء ــ عموما ــ وأمام شخصية المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم ـ خصوصا .

العواطف والسلوك :

يرى علم النفس أن العـــواطف البشرية ــ دوافع مكتسبة للسلوك ، يكونها المرء لذاته من تفاعله مع مجتمعه المحيط به على التكييف مع تقاليـــده ومفاهيم الحياة فيه ؛ فيعدل من رغباته ونزواته ، ويطبع سلوكه وفق هـــذه التقاليد إرضـــاء لمجتمعه حتى تصبح الاستقامة طبيعية لا تكلفا ، وشعوراً نابعاً من نفسه لا تصنعاً ــ وذلك عند الأسوياء من الناس ــ

وعواطف المرء الرئيسية هى ــ الحب والكراهية ــ

وكلتاهما تدور حول مراكز شتى فى الحياة تثيرها فى النفس مثـيرات مادية كالطعام اللذيذ والملبس الجميل ، أو معنوية كحب الخير وتقديس الكرامة كذلك كراهـــية المرض ، أو بغض الزور والضلال

ولا تزال عواطف المرء فى رقى موصول بخبرته فى الحياة وتقدمه فى السن حتى يصـــل إلى ذروة العواطف الإنسانية بكراهية كل ضلال أو فساد يعوق ركب الانســـانية وتطورها ، وبحب الانسانية فى أوسع نطـــاق وتقديس الخير والحق والجمال فى كل صوره .

وقد بدأت عاطفـــة الحب مع الوالدين والأسرة ثم ارتقت إلى حب الوطن والجنس ثم تسنمت ذروة الشعور السوى بحب الانسانية كلها .

وتلك درجة قادة ركب الحضارة البشرية فى كل جنس ولكل جيل كمصابيح كبرى على مراحل الطريق نحو الكمال.

تكامل الشخصية :

بيد أن النفس البشرية لا تصدر عن عواطفها المكتسبة فحسب، وإنما تخضع فى إحساساتها وانطلاقاتها لنزعات أخرى فطرية نبتت مع الحياة ميراثا من الأجيال، ولم تتشربها من المجتمع ، ويمكننا فى الكيان النفسى عناصر شتى نجملها فيما يلى :

١ — الاستعدادات الفطريه والعواطف المكتسبة .

٢ — القدرات العقلية الفطرية والتعليمية .

٣ — الصفات الجسمية والمزاجية

وكلها تتفاعل وتشرف على السلوك العام للانسان .

والتنظيم التوافقى لهذه العناصر أو ما يعرف بوحدة الانسجام النفسى هو ما يصطلح عليه بتكامل الشخصية

عاطفة اعتبار الذات :

وفى هذا التوافق والتكامل تبرز عاطفة اعتبار الذات حيث تشرف على سلوك المرء العام فى مستويات شتى :

١ — مستوى اللذة والألم ، فيحب المرء كل لذيذ ، ويبتعد عن كل مؤلم . وذلك مستوى السلوك لدى الأطفال وعند الناس غير الأسوياء ممن لم يتم لهم الفطام النفسى من الشباب وغيرهم .

٣ — مستوى الثواب والعقاب ، حيث يندفع المرء لعمل ما ينتظر مثوبته — ماديا أو معنويا — ويتجنب كل عمل يعاقب عليه .

وذلك مستوى غامة الناس ولا سيما فى المجتمعات البدائية ، حيث يضطر قادة المجتمع إلى بذل المثوبات حضا على الإنتاج والاستقامة ، وإلى فرض العقوبات عند مخالفة قوانين السلامة للمجتمع .

٣ — مستوى إرضاء المجتمع أو إغضابه وإثارة اشمئزازه ، وهو مستوى لا بأس به ، ينتظم عامة الناس وأفاضلهم حيث تتكون لديهم عاطفة اعتبار الذات فتصدر عن فكرة إرضاء المجتمع والبعد عما يثير اشمئزازه وإن لم يقترن بعقوبة ما فى عرف قانون .

٤ — أما مستوى الذروة — مستوى قادة الانسانية فى تخفيف آلامها وتطور حياتها ، وبناء حضارتها — فتصدر فيه عاطفة اعتبار الذات عندهم فى مجال الايمان بفكرة والسعى حثيثا لتحقيق مبدأ كريم لخير الانسانية — غير مبالين برضا المجتمع أو احتقاره أو مثوبته وعقابه ، بل كثيرا ما يستهدفون لنقمة كبرى من أفراد المجتمع

وسلطته التى ألفت القديم من المعتقدات والتقاليد - ولو لم تكن سليمة فى ذاتها

وقد صور القرآن الكريم هذا الصراع المرير بين دعاة الخير فى كل جيل مع العقول الجامدة السلطة الغاشمة فقال :

« وكذلك ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير إلا قال مترفوها : إنا وجدنا آباءنا على أمة ، وإنا على آثارهم مقتدون (٢٣) قل أولو جئتكم بأهدى مما وجدتم عليه آباءكم ، قالوا : إنا بما أرسلتم به كافرون (٢٤) » الزخرف

وهنا يقرر علم النفس أن تكامل الشخصية فى أرقى صورها . هو ما كانت فيه عاطفة اعتبار الذات تصدر عن الايمان بمبدأ كريم لخير الانسانية وترقيها . . .

ومن هذه الذروة تظهر حقائق المبادىء وقيمتها للانسانية ، كما تتجلى نفسيات القادة وما تنطوى عليه من إيمان وتضحية ، وعبقرية وسمو — وفهم وحكمة .

العواطف والاخلاق :

واستطراداً مع النظرية نرى أن السلوك البشرى يتكون هو الآخر فى المجتمع وفق مستويات شتى مستوى الخضوع للسلطة وخوف العقاب ، ومستوى الانسجام مع الجماعة وإرضائها ، وكلاهما سائد لدى عامة الناس ، ومستوى الشعور الوجدانى السوى مشاركة للآخرين طبيعة لا تكلفاً فيعطفون على البائسين أو يشتركون فى تهنئة المنتصرين . أما مستوى الذروة فى تكوين أخلاق الممتازين فهو الانطباع مع فكرة الخير والحق والجمال وتقديسها فى أية صورة ، والسعى لتحقيق سعادة المجتمع وتطوره سواء أوافق رضا المجتمع أو أثار سخطه ، ومهما اتفق مع سلطة القوانين أو قاومها .

وهؤلاء هم أرقى أفراد النوع البشرى وأقربهم إلى التكامل والانسجام النفسى . . . وهنا يأتى دور السعادة السعادة والانسانية وتكامل الشخصية :

والسعادة - لدى مكدوجل - شيخ علماء النفس من المدرسة الانجليزية لها مستويات ثلاثة :

١ — مستوى اللذة : Pleasure

٢ — مستوى السرور والطرب : Joy

٣ — مستوى السعادة : Happiness

والسعادة - فى رأيه - تتجه إلى تحقيق اعتبار الذات بأداء الواجب كواجب فهى ترتبط بعاطفة اعتبار الذات ذلك المنظم الأعلى للشخصية ، وتنشأ من التوافق التام بين نزعات الشخص وعواطفه — أى تكامل

الشخصية — فالسعيد حقا — هو صاحب الشخصية المتكاملة المنطلقة نحو أسمى المراحل الخلقية ، لتحقيق مثل عليا للانسانية فى سبيل إسعادها وترقيها

وهنا يقول الأستاذ الدكتور عبد العزيز القوصى فى كتابه أسس الصحة النفسية ، « ونستطيع أن نرى فى هذا المستوى القادة والأنبياء . . . »

أجل . وبمقاييسهم نقول : إن الانسانية لاتدين فى ترقيتها وحضاراتها لأحد كاتدين للحكماء والعلماء والمصلحين وفى قمة هؤلاء نرى الأنبياء فقد جمعوا للحكمة والاصلاح والمعرفة إلهاماً عليا وتوفيقا ربانيا ساميا ، فحققوا من النجاح ـ غالباً ـ مالم تحلم بمثله الانسانية ، بل ماشقيت الانسانية إلا لتنكبها طريق السعداء حقاً ـ من أنبيائها الكرام ، أولئك الذين وسعوا الانسانية بأسرها حبا وإشفاقاً ، وقدسوا الخير والحق والجمال مبادىء وأشواقا ، ولاقوا فى سبيل ذلك من السلطات والمجتمع عنتا وإرهاقاً . ثم انتصروا أخيراً فحققوا للناس جميعا برا ومرحمة وإسعاداً ، وبهاء وإشراقاً .

ولست واجداً فى التاريخ أحداً يشركهم فى جلال رسالتهم ، وقدسية أفكارهم وروعة نضالهم لتشريع الخير والحق للانسانية ، حتى الحكماء والفلاسفة أنفسهم ـ كسقراط وأفلاطون وأرسطو ـ فيما أثر عنهم من الحكمة والأخلاق ـ مع جلال قدره ـ لم ير التطبيق العملى على أيديهم شريعة للناس ونظاما كما وجد لدى الأنبياء .

دعك من ـ بوذا وزرادشت وكونفشيوس وحمورابى وإخناتون ـ فهم إن لم يكونوا أنبياء أوحى إليهم من السماء فهم حملة رسالة النبوات إلهاماً من الحق فى نفوسهم ، وتوفيقا أكبر من الله لجهودهم . قال تعالى : « وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا فيوحى باذنه ما يشاء انه على حكيم » وقال « : وإن من أمة إلا خلا فيها نذير » وقال « ورسلا قد قصصناهم عليك من قبل ورسلا لم نقصصهم عليك » .

وأولئك وهؤلاء يقتعدون ذروة الخلود فى تاريخ حضارة الانسانية وإسعادها ، وفتح آفاق المعرفة العليا أمام عقولها . .

أما محمد الكريم ـ فهو من بين هؤلاء جميعا ـ الشخصية الفريدة فى بابها حتى ليصبح مقياس علم النفس أمام شخصيته ورسالته شيئا لا يوضح إلا جانبا يسيراً من كينونته ، فهو من بين سائر الأنبياء والقادة جميعا الذى وسع

الانسانية سابقها ولاحقها حبا وتقديراً ومرحمة ، وتطويراً إلى الكمال وفهما لأعماق نفسياتها ، وعلما بأسرار الوجود المحيط بها فى أرض وسماء ، فى مادة وروح ، فى أزل ولأبد ، ولم تاخذ العالمية والانسانية حيزاً واضحا فى رسالة أحد كما أخذت صفحات كاملة خالدة فى رسالته . .

لا : بل ليست الانسانية كلها إلا سطراً فى رسالته التى تحدث العالم عن مصور الوجود الأعلى : رب الوجود وضياء الوجود ورحمن الوجود .

فلنستصحب هذا المقياس لنناقش هذه الحقائق أمام أكمل الشخصيات الانسانية وأسعدها على الاطلاق محمد صلى الله عليه وسلم .

حسنى طه محمد شكيبان
بتجارة الأسكندرية الثانوية للبنات .

دعاء مجاب

عن يحيى بن سعيد أنه قال : لما أسرى برسول الله ﷺ رأى عفريتا من الجن يطلبه بشعلة من نار كلما التفت رسول الله ﷺ رآه فقال له جبريل أفلا أعلمك كلمات تقولهن ، إذا قلتهن طفئت شعلته وخر لفيه . فقال رسول الله ﷺ ، بلى ، فقال جبريل : قل أعوذ بوجه الله الكريم وبكلمات الله التامات اللاتى لا يجاوزهن بر ولا فاجر من شر ما ينزل من السماء وشر مايعرج فيها وشر ما ذرأ فى الأرض وشر ما يخرج منها ومن فتن الليل والنهار ومن طوارق الليل والنهار إلا طارقا يطرق بخير يارحمان ، رواه إمام الأئمة فى موطئه والنسائى فى سننه والبيهقى فى الاسماء والصفات .